مجلة التكامل في بحوث العلوم الاجتماعية والرياضية
المجلد: (5) العدد: (1) جوان 2021
ص: 147- 163 /ISSN 2716-9391

بنية العقل العربي وتشكيله في تصور محمد عابد الجابري

The Formation the Arab Reason its Construction from the Perspective of Mohamed Abed Al Jaberi's

أ. أحمد لشعل[1] أ. شويرب هنية[2]

أحمد لشعل[1]* جامعة عمار ثليجي بالأغواط، الجزائر، a.lachaal@lagh-univ.dz

هنية شويرب [2] جامعة عمار ثليجي بالأغواط، الجزائر، h.chouireb@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 23/ 05/ 2021؛ تاريخ القبول: 08/ 06/ 2021؛ تاريخ النشر: 30/ 06/ 2021

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تصور المفكر محمد عابد الجابري الخاص لبنية العقل العربي وتشكيله،ولخصائصه الرئيسية التي تعكس نمط التفكير السائد من حيث طبيعة النظم والبنى المعرفية التي شاركت في تشكله وتكوينهداخلالساحة العربية والإسلامية.وقد خلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها؛ اعتبار الجابري عصر التدوين كبداية تاريخية مهدت لتشكل العقل العربي وتكوينه، سعيا منه لتحديد طبيعة النظم المعرفيةالتي شاركت في هذا البناء والمتمثلة حصرا في؛ (النظام البياني) الذي مثلته الإيديولوجية السنية، و (النظام البرهاني) الذي أرسى قواعده الفلاسفة المسلمين بدءً من "الكندي" و"الفارابي"، وأيضا (النظام العرفاني) الذي مثلته الإيديولوجية الشيعية.

الكلمات المفتاحية: البنية، النظم، العقل العربي، محمد عابد الجابري

Abstract

This study aims to shed light on Al Jaberi's special conception of the Arab reason, its structure and major characteristics, which reflect the prevalent way of thinking concerning the nature of the systems and epistemological structures which contributed to its construction into the Arabic and Islamic domains.The findings of this research confirm that Al Jaberi's age of registration marked ahistorical initiation that paved the way for its creation and construction. in order to understand the nature of the three epistemological systems that contributed to its construction which are:(rhetoricalsystem), which is represented by the Sunni ideology; the (evincivesystem), whose rules were established by Muslim philosophers, starting from Al-Kindi and Al-Farabi, in addition to the (Al-Irfani system), which was represented by the Shiite ideology

Keywords: Structure; systems; Arab reason; Mohammed Abed Al Jaberi

* لشعل أحمد: a.lachaal@lagh-univ.dz

1. مقدمة :

من بين أهم المواضيع التى عالجها الفكر العربي المعاصر، وخصها أعلامه ومنظريه بكثير من الدراسة والمناقشة والتحليل التي تصل حدود النقد والتقويض في بعض الأحيان نجد موضوع العقل العربي الذي يعبر عنه بالنظام الإبستيمي - بلغة ميشيل فوكو-والذي يحدد خصوصية الثقافة العربية وجوهر تفكيرها الذي قد يرتبط واقع حاضره المعاش في الفترة الراهنة، بواقع ماضيه العربي والإسلامي.

وقد سلك عديد المفكرين المعاصرين نهج دراسة ومناقشة واقع هذا العقل العربي بملامحه العامة، على رأسهم المفكر المغربي الراحل " محمد عابد الجابري" الذي أشاد به أي- بالعقل العربي- من جانب ولكنه انتقده في تكويناته التي شكلته على النحو الذي يبدو به سائدا،" من خلال رباعيته الشهيرة في نقد العقل العربي.

ومن وجهة النظر الموضوعية هذه سنخوض – بإذن الله – في التعرف على شخصيته محمد عابد الجابري، و الكشف عن المرجعيات الفكرية والمعرفية التي استقى منها مضامين فكره، ثم تتبع أهم النقاط التي تطرق فيها "صاحب مشروع نقد العقل العربي" لدراسة وتحليل بنية هذا العقل الذي قام بتفكيك عناصره بغية تحديد أهم البنى المعرفية المشكلة له، قبل الهجوم عليه من خلال سلسلة نقدية كاملة حملت اسم مشروعه الفكري (نقد العقل العربي)، في محاولة لتسليط الضوء على تصور هذا الأخير – الجابري- لبنية العقل العربي، من حيث تحديد بداية تشكله وتكوينه، والنظم المؤسسة المعرفية له داخل فضاء الساحة الثقافة للأمة العربية والإسلامية ،لذلك ارتأينا أن تطرح إشكالية موضوع بحثنا على النحو التالي:

1. 1 الإشكالية الرئيسية:

- كيف كان تصور محمد عابد الجابري لبنية العقل العربي وتشكيله ؟ وماهي أهم النظم المعرفية المؤسسة له؟

1. 2 التساؤلات الفرعية:

هذا كإشكال محوري تفرعت عنه عدة تساؤلات نجملها فيما يلي:

- من هو المفكر محمد عابد الجابري؟ وماهي أهم أعماله ؟ وفيما تمثلت مرجعيته الفكرية والمنهجية ؟

- ما مقصود الجابري بالعقل العربي ؟ وماهي أصنافه؟

- لماذا قرر الجابري فصل التزاوج بين العقل العربي والعقل الإسلامي؟ وكيف فسر اشتغاله بالعقل العربي دون الاشتغال بالعقل الإسلامي؟
- ماهو الإطار الزمني الذي حددة الجابري كبداية أولى لتشكل العقل العربي؟
-وماهي أهم النظم المعرفية المؤسسة للعقل العربي في تصور عابد الجابري؟

1. 3 أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة من حيث قيمة أفكار محمد عابد الجابري، ومكانة فكره داخل الساحة العربية المعاصرة، باعتباره صاحب المشروع الفكري الشهير الذي تعرض فيه لأسباب تخلف العقل العربي في مواكبة ركب التحضر والتقدم ضمن سلسلة نقدية كاملة حملت عنوان (نقد العقل العربي).

1 . 4 أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على شخصية المغربي محمد عابد الجابري من خلال الإطلاع على أعماله والكشف عن مرجعيته الفكرية والمنهجية .

- الكشف عن مفهوم الجابري الخاص للعقل العربي، من خلال تحديده بنية العقل العربي وتشكيله داخل فضاء الساحة العربية الإسلامية .

- محاولة التعرف على بداية تشكل العقل العربي وأبرز النظم المعرفية المؤسسة لهفي تصور الجابري.

- أهم النقاط التي انتقد فيها الجابري العقل العربي الذي خصه بسلسلة كاملة حملت اسم مشروعه الفكري النهضوي.

2.محمد عابد الجابري " السيرة والمسيرة"

2 . 1 من هو المفكر محمد عابد الجابري؟

محمد عابد الجابري مفكر مغربي معاصر، من عائلة أمازيغية، ولد في يوم 28 ديسمبر 1936م بقصر الزناكة، في قرية فجيج التي تقع في الجنوب الشرقي من المغرب .

حفظ الجابري مايقرب من ثلثي القرآن الكريم في المسيد وهوفي سن التاسعة من عمره تعلم مبادئ القراءة والكتابة، وتعامل مع اللغة العربية الفصحى إلى جانب اللغة الفرنسية طول المرحلة الابتدائية وما بعدها، حيث كانت الأمازيغية لغته الأم. (الجابري محمد عابد، 1997 ص135) وقد تأثر في طفولته بشخصية الحاج محمد فرج شيخ المسجد في قريته، الذي كان يمثل أحد رجال السلفية النهضوية في المغرب .

درس الجابري بمدينة فجيج ثم غادرها إلى مدينة الدار البيضاء، حيث تابع دراسته الثانوية بالمدرسة المحمدية، وفي سنة 1957م حصل على شهادة البكالوريا، ثم في سنة 1958م التحق بكلية الآداب بالرباط قسم الفلسفة،التي حصل منها على الاجازة سنة 1961م،مارس العمل الصحفي فساهم في تحرير صحيفة "التحرير"، ومجلة الأقلام والأهداف والمحرر، وغيرها من المطبوعات المغربية والعربية . (القاضي محمد، www.ebn-khaldoun.com)

حصل الجابري على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة سنة 1967م، ودكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970م من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط. كما عمل الجابري مراقبا وموجها تربويا لأساتذة الفلسفة بالتعليم الثانوي (1965-1967) وأستاذ للفلسفة والفكر الاسلامي بكلية الآداب بالرباط منذ 1967م،توفي عام 2010م. (الشيخ محمد، 2011، ص08)

2 أهم أعمال الجابري و إنجازاته

يمكن القول أن المفكر المغربي محمد عابد الجابري قد أغنى وأثرى المكتبة المغربية والعربية بالعديد من الأعمال الفكرية والفلسفية الهامة، والتي جعلته يتوج بالعديد من الجوائز، ويمكن تصنيف مجمل مؤلفات الجابري، وتقسيم كتاباته من حيث مجالات اهتمامها، أوما أطلق عليه الجابري نفسه "بالفضاءات" والتي جاءت كالتالي:

1- فضاء قراءة التراث (نقد العقل العربي): صدرت له فيه كتب مثل "العصبية والدولة سنة 1971" و"نحن والتراث" قراءة في تراثنا الفلسفي 1980"، وكذا رباعية النقد الشهيرة عنده المتمثلة في: "تكوين العقل العربي 1982- بنية العقل العربي 1986- العقل السياسي العربي1990 - العقل الأخلاقي العربي 2001)"هذا فضلا عن كتابيه الأخيرين" مدخل إلى القران الكريم، "في التعريف بالقران 2006" وفهم القران الحكيم" التفسير الواضح حسب ترتيب أسباب النزول 2008".(الشيخ محمد: 2011، ص 14)

2- فضاء مناقشة قضايا الفكر العربي المعاصر (نقد الخطاب العربي):صدرت له فيه كتب "الخطاب العربي المعاصر 1982" – "إشكالية الفكر العربي المعاصر 1988" – "المشروع النهضوي العربي "1996 – "وجهة نظر نحو اعادة بناء الفكر العربي المعاصر 1997 "

3- قضايا المستجدات في الفكر العالمي: صدرت له فيه كتب مثل: "المسألة الثقافية 1994" – " مسألة الهوية 1995" – " الديمقراطية وحقوق الانسان 1997".(جباب محمد نور الدين وآخرون، 2014، ص 336)

4- فضاء الشأن المغربي الخاص: وأصدر الجابري فيه: "أضواء مشكلة التعليم بالمغرب 1973" " من أجل رؤية جديدة لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية 1977" حفريات الذاكرة 1997"" المغرب المعاصر: الخصوصية والهوية... الحداثة والتنمية 1988". (الإدريسي حسين، 2010، ص 27)

3.2 المرجعية الفكرية والمنهجية لمحمد عابد الجابري

يتمحور مشروع الجابري حول مفهوم "نقد العقل العربي"، ويعني بهذا المفهوم، النقد الإبستيمولوجي للتراث العربي في مستويين: تكويني تاريخي وبنيوي نسقي وفي الحقول ثلاثة هي المعرفة والسياسة والأخلاق. (ولد أباه السيد، 2010 ص 162)

وبهذا يتبين لنا أن منهجية الجابري في تعامله مع التراث العربي الإسلامي، وبالأخص في مجال الفكر والفلسفة منهجية بنيوية تكوينية تعتمد على خطوات ثلاث وهي:

أولا: "المعالجة البنيوية الداخلية" التي ترتكز على استقراء دلالات الألفاظ والمفاهيم واستكشاف المعاني والمعطيات الدلالية وتحديد القضايا والإشكاليات .

ثانيا: "المعالجة التاريخية" التي تعني تبيان الأبعاد التاريخية والاجتماعية والثقافية والتي أفرزت هذه الإشكاليات الفكرية والفلسفية المطروحة من قبل صاحب النص.

ثالثا: "الوظيفة الإيديولوجية" والغرض منها الكشف عن الأدوار والوظائف الإيديولوجية التي لعبها الفكر المعني في الفضاء السياسي والاجتماعي لعصره.

(الجري عبد النبي، 2014، ص 18)

ومن هنا فمنهجية الجابري تقوم على مجموعة من المبادئ الرئيسية، وهي ضرورة القطيعة في الفهم التراثي للتراث، وفصل المقروء عن القارئ لتحقيق الموضوعية، ووصل القارئ بالمقروء لتحقيق الفكر ووحدة الإشكالية، والانطلاق من تاريخية الفكر برصد الحقل المعرفي والمضمون الإيديولوجي، وذلك حين التعامل مع الفكر الإسلامي والفلسفة على سبيل التخصيص. (حمداوي جميل، 2012، ص 108)

3. تحديد الجابري لمفهوم العقل العربي وأصنافه

1.3مفهوم الجابري للعقل العربي

مقصود "الجابري" بالعقل العربي ليس الثقافة العربية وليس الفكر العربي وما أنتجه من معرفة وإنما المقصود به الأداة والطريقة التي أنتجت هذه المعرفة (عدي محمد ، 2016، ص 5) ، وهذه الفكرة نجدها أكثر دقة ووضوح على لسان "الجابري "، حيث يقول «... إنه ليس شيئا آخر غير هذا الفكر الذي نتحدث عنه أي الفكر بوصفه أداة لإنتاج النظري، صنعتها ثقافة معينة لها خصوصيتها، هي الثقافة العربية بالذات الثقافة التي تحمل معها تاريخ العرب الحضاري العام، وتعكس واقعهم أو تعبر عن طموحاتهم المستقبلية، كما تحمل وتعكس وتعبر في ذات الوقت عن عوائق تقدمهم وأسباب تخلفهم الراهن..». (الجابري محمد عابد،2009 ص14)

كما أن الجابري ينظر إلى العقل العربي على أنه كيان فكري، ونهج في التفكير له خصوصية عربية وهو بهذا يحاول الانطلاق في نوع جديد من البحث والاستقصاء ووفقا لقاعدة عرفية تتحدد بموجبها الجنسية الثقافية لكل مفكر، وهو أن المثقف ينتمي إلى ثقافة معينة اذا ما فكر في بواسطتها. (الشيخ شبر الفقيه، 2014، ص 390-391)

وقد حدد الجابري " في الجزء الأول من كتابه " تكوين العقل العربي مفهوم العقل العربي باعتباره « جملة المفاهيم والفعاليات الذهنية التي تحكم بهذه الدرجة من القوة الصارمة، رؤية الإنسان العربي إلى الأشياء وبطريقة تعامله معها في مجال اكتساب المعرفة مجال انتاجها واعادة انتاجها ». (الجابري محمد عابد،2009، ص 70)

3 . 2تصنيف الجابري للعقل العربي

استعان الجابري في تصنيفه للعقل، بالتصنيف الذي أقامه "أندري لالاند "بين العقل المكوِّن(الفاعل) La raison constituent ، والعقل المكوَّن (السائد). constutéeوسنتطرق لكل منهما على حدا بشيء من التفصيل الذي قد يكشف الغموض من عليهما.

3. 2. 1العقل المكوِّن(الفاعل)La raison constituant

ويقصدبه "الجابري"«النشاط الذهني الذي يقوم به المفكر حين البحث والدراسة والذي يصوغ المفاهيم والمبادئ، وبعبارة أخرى، إنه الملكة التي يستطيع بها كل إنسان أن يخرج من إدراك العلاقات بين الأشياء مبادئ كلية وضرورية، وهي واحدة عند جميع الناس».

3. 2. 2العقل المكوَّن(السائد)La raison constutée

أما بخصوص العقل المكوّن (السائد)،فينظر الجابري إليه على أنه «مجموعة المبادئ والقواعد التي نعتمدها في استدلالاتنا، وهي على الرغم من كونها تميل إلى الوحدة، إلا أنها تختلف من عصر لآخر كما قد تختلف من فرد لآخر». (الجابري محمد عابد،2009 ص 15)

هذا التصنيف لا يعني أبدا أن العقل المكوِّن(الفاعل) والعقل المكوَّن (السائد) منفصلان أو متنافران بل على خلاف ذلك تحكمها علاقة تأثير وتأثر قائمة بينهما، فالعقل السائد هو نتاج العقل الفاعل وكذلك العقل الفاعل يفترض عقلا سائدا. (غصيب هشام، (د س)، ص 40)

3 . 3 لماذا العقل العربي لا العقل الإسلامي؟

لطالما كان هناك ترابط حميم بين ما هو عربي وما هو إسلامي، بين اللغة والدين كون النص المقدس ذاته نص عربي وثقافة العرب في أغلبها ثقافة إسلامية، لكن " محمد عابد الجابري " اختار فصل هذا التزاوج والاشتغال على العقل العربي دون العقل الإسلامي، فقد أوضح أن سبب اختياره للعقل العربي هو الركود في الفكر العربي، وهو خيار استراتيجي مبدئي ومنهجي حسبه

أما لماذا " العقل العربي " وليس " العقل الإسلامي" ؟ فيرجع صاحب ذلك المشروع إلى اعتبارين؛ أولهما: أن العقل الإسلامي يضم كل ما كتبه المسلمون بالعربية وبلغات أخرى أيضا، كالفارسية مثلا وجهله الفارسية ثقافة ولغة، يقف حائلا بينه وبين هذا الاختبار .

-ثانيهما: أن عبارة نقد العقل الإسلامي لا يمكن تجريدها من المضمون اللاهوتي فالجابري يرمي إلى إقامة نقد إبستمولوجي، لا إلى إحياء علم كلام جديد، نقد يتناول أدوات المعرفة وليس العقيدة ومذاهبها .

(الجابري محمد عابد،1991، ص 320-321)

لهذا عمد "الجابري"إلى استعمال مفهوم العقل العربي عوض العقل الإسلامي مبررا ذلك بقوله:«اخترنا القيام بالنقد الابستمولوجي نقد آليات المعرفة وأسسها، وليس النقد اللاهوتي الذي يتعرض لقضايا الدين، وإننا بسبب ذلك نفضل عبارة العقل العربي عن العقل الإسلامي».(الجابري محمد عابد،1991،ص131) فهو يستبعد (العقل الإسلامي) لأن هناك علماء مسلمين غير عرب لهم نتاج ضخم مكتوب بلغتهم أي داخل ثقافتهم وعقلهم هم، وليس من داخل العقل العربي الذي تشكل اللغة العربية إحدى أهم أساسياته ويستبعد كتابات المستشرقين عن التراث العربي لأنهم كتبوها وفق مفاهيم وعقل غربي ويصفها بأنها ليست أكثر من وجهة نظر غير غربية في الثقافة العربية (السيد أحمد.www.rabitat-alwaha)

هذا ويشيد "الجابري" بالعقل العربي من جانب ولكنه ينتقده في تكويناته التي شكلته على النحو الذي يبدو به سائدا، وفي جانب آخر يقارنه بالعقل اليوناني والعقل الأوروبي حيث يقول:« إننا عندما نتحدث عن العقل العربي، فنحن نميزه في الوقت نفسه عن العقل اليوناني والعقل الأوروبي الحديث». (الجابري محمد عابد،2009، ص 16)

هذه العقول بالنسبة إليه – هي مايحسب لها السبق المعرفي بطريقة علمية فلسفية تشريعية، لأن ثقافتها لم تفكر بالعقل فقط ولكن في العقل أيضا، وتلك الدرجة من المعقولية أسمى -حسبه – لأنها تعقل الذات لذاتها، يقول: «صحيح أنه كان بكل من مصر والهند والصين وبابل وغيرها حضارات عظيمة وصحيح كذلك أن شعوب هذه الحضارات قد مارست العلم: أنتجته وطبقته ولكن صحيح كذلك أن البنية العامة لثقافات هذه البلدان، مهد الحضارات القديمة، هي حسب معلوماتنا الراهنة يشكل السحر أو في ما معناه، وليس العلم، العنصر الفاعل و الأساسي فيها ». (الجابري محمد عابد،2009، ص 17)

ومن ثم يختم "الجابري" تعليقه على خصوصية الحضارات اليونانية والعربية والأوروبية بالقول:«إن الحضارات الثلاث هي وحدها التي أنتجت ليس فقط العلم، بل أيضا نظريات في العلم، إنها وحدها في حدود ما نعلم التي مارست ليس فقط التفكير بالعقل بل التفكير في العقل». (غصيب هشام: (د.س)، ص 50)

وعقلنا العربي داخلته بعض هذه الأنماط من التفكير اللاعقلانية زمن عصر التدوين لهذا فهو يرى أن الحاجة تدعو إلى تدشين (عصر تدوين) جديد، تكون نقطة البداية فيه: نقد السلاح، نقد العقل العربي .

4 .عصر التدوين كبداية لتشكل العقل العربي عند الجابري

يعتقد المغربي "محمد عابد الجابري"أن العقل العربي قد «تكون ووضعت أسسه الأولى النهائية والمستمرة خلال عصر التدوين» هذا العصر الذي جمعت فيه الأحاديث وتفاسير القرآن الكريم، وبداية كتابة التاريخ الإسلامي، وأسس علم النحو وقواعد الفقه، وتشكلت فيه الفرق والمذاهب الإسلامية، وهو نقطة البداية لتكوين النظام المعرفي في الثقافة العربية الإسلامية وفي هذا العصر اكتمل تكون العقل العربي ولم يتغير منذ ذلك الوقت وما زال سائدا في ثقافتنا حتى اليوم، وهو الإطار المرجعي للعقل العربي. (جباب محمد نور الدين وآخرون: 2014، ص 340)

وعلى هذا فإن بنية الثقافة العربية ذات زمان واحد (زمن راكد)، يعيشه الإنسان العربي اليوم مثلما عاشه أجداده في القرون الماضية، وبالتالي فإن العقل العربي، إنما تشكل ككيان و تثبتت أركانه وتعينت حدوده و اتجاهاته خلال عصر التدوين .

وفي فصل تحت عنوان " الأعرابي صانع العالم العربي"، يوضح الجابري أن المرجعية الأكاديمية للغويين في تأسيسهم لعلوم اللغة والنحو والبلاغة هو الأعرابي . يقول الجابري « لقد جمعت اللغة العربية من البدو العرب الذين كانوا يعيشون منا ممتدا زمن التكرار والرتابة، ومكانا بل وفضاء فارغا وهادئ كل شيء فيه صورة حسية بصرية أو سمعية فهذا العلم هو كل ما تنقله اللغة العربية لأصحابها اليوم وقبل اليوم وسيظل هو ما دامت اللغة خاضعة لمقاييس عصر التدوين ».

(الجابري محمد عابد،2009، ص 84)

فالمنهجية التي اتبعها اللغويون والنحاة الأوائل - حسب الجابري - وكذلك المفاهيم التي استعملوها والآليات الذهنية التي اعتمدوها عند جمع اللغة العربية وتقعيدها تقوم على الاستماع إلى الأعراب، حيث اتجه جامعوا اللغة إلى البادية حيث الأعراب الأقحاح، وأصبح هؤلاء الحفاة العراة مطلوبين بإلحاح.

(الجابري محمد عابد،2009، ص 46)

والنتيجة حسب "الجابري " هي تحكم القديم وهيمنة عالم الأعرابي على الفكر العربي عموما وهذا ما ليس بالطبيعي، إذ يقول بهذا الصدد:«أن يظل الذهن العربي مشدودا إلى اليوم،إلى ذلك العالم الحسي اللاتاريخي الذي يشده عصر التدوين اعتمادا على أدنى درجات الحضارة التاريخية عبر التاريخ، حضارة البدو الرحل اتخذت كأصل، ففرضت على العقل العربي طريقة معينة في الحكم على الأشياء قوامها: الحكم على الجديد مما يراه القديم». (الجابري محمد عابد،2009، ص 87)

وبهذا يكون "الجابري" قد رصد النقاط المهمة والضرورية في الآلية التي احتكت بها عملية جمع اللغة العربية أو صناعتها في عصر التدوين على أيدي " الخليل ابن أحمد الفراهيدي " من خلال كتابه (العين) الذي أسس لعلم العروض بمنهجية جمعت شتات اللغة العربية لأهلها عبر التاريخ حتى اليوم فمنهجية "الخليل" انطلقت من أسس رياضية تعتمد أصل الكلمات المجردة المكونة من ثمانية وعشرين حرفا والتي تتكون منها الكلمات، ولم يكن متداولا بين العرب أو الأعرابي الذي لم تخالطه شوائب المدينة.(الجابري محمد عابد،2009، ص 81-86).

وبالتالي "فالجابري" في نقده للعقل العربي يرى أنه عقل يأبى أن يخرج بإطاره المرجعي للغة العربية عن تلك التي جمعها وصنفها "الفراهيدي " وتابعيه من ذات الفترة، أما التطورات اللاحقة فيتم اعتبارها دخيلة على لغة الأعراب، وهذا ما قاد طبيعيا إلى جمود اللغة العربية ونشوء لهجات عامية أصبحت بمرور الوقت أكثر استعمالا من اللغة العربية الفصيحة، مما شكل معضلة رئيسية في الفكر العربي ووعي المثقف والانسان العربي، وعقليته وفكره .

(عيد عبد الرزاق http://www.rabitat-alwaha.net)

5 .النظم المعرفيةالمؤسسة للعقل العربي

5.1 النظام البياني (المعقول الديني العربي)

أو كما يطلق عليه "الجابري"(المعقول الديني العربي)، ويقصدبه تلك الممارسة العلمية التي تتأسس على علوم اللغة وما يتفرع عنه من آليات أهمها القياس الذي نجده عند الأصوليين والنحويين والمتكلّمين، فيكون البيان هو: "الحقل المعرفي الذي بلورته علوم اللغة العربية الاستدلالية الخالصة، ونعني بها النحو والفقه والكلام والبلاغة ". (عدي محمد: 2016، ص 7)

كما ينفي "الجابري" أن يكون البيان مرتبطا بعلماء البلاغة وحدهم، كفرع من فروع هذا العلم فهو يضم – حسب قوله- «جميع علماء البيان من لغويين و نحاة و بلاغيين وعلماء أصول الفقه وعلماء الكلام سواء كانوا معتزلة أو أشاعرة أو حنابلة أو من الظاهرية أو من السلفيين قدماء ومحدثين، إن هؤلاء جميعا ينتمون إلى حقل معرفي واحد مؤسسه نظام معرفي واحد هو النظام المعرفي البيان»، ومن جهة أخرى يذهبإلى تحديد الأزواج الإبستيمولوجية للنظم المعرفية، وهذه الأزواج هي: اللفظ / المعنى الأصل / الفرع، الخبر / القياس، و هي المفاهيم الأساسية الأولية للنظام البياني.

(الجابري محمد عابد:2009، ص 13)

ويخلص "الجابري"من دراسته لدائرة البيان إلى اعتباره اللغة العربية محددا أساسيا للعقل العربي، إلاأنّها في نظره لغة لا تاريخية وغير متجددة بقيت جامدة ومحدودة على حالها منذ عصر التدوين، ويكون الأعرابي بهذا هو صانع العقل العربي على حد تعبيره وما حافظ على هذا الجمود هو آلية القياس التي تجعل اللاحق تابع اللسابق، هذه الآلية التي انتقلت بعدها إلى مختلف الميادين البيانية من بلاغة وكلام وأصول فقه. (عدي محمد: 2016، ص9)

5.2 النظام العرفاني (اللامعقول العقلي)

يعرف "العرفان"بشكل العام بأنه:الكشف والالهام والنور الذي يقذف بالقلب، فهو معرفة ذوقية وهو يقع عند الصوفية في مقابل البيان عند أرباب اللغة والبلاغيين، وفي مقابل البرهان عند الحكماء يأخذ طابع المنهج عند الصوفية وهو أدنى درجات المعرفة (بن سماعين موسى، 2012،ص 138)

أما النظام "العرفاني" حسب "الجابري" أو كما يسميه هو (باللامعقول العقلي) فيعتبره "الجابري"«علما دخيل تسرب إلى الثقافة العربية الإسلامية مع الفتوحات من الموروث القديم ويمثل جملة الأفكار، وثقافة العقائد التي سبقت الإسلام، والتي تبلورت وتجلت مع عصر التدوين في شكل موروث فلسفي علمي».(الجابري محمد عابد: 2009 ص 234) ويشمل ذلك حسب قوله: «كل تجليات الغنوصية والهرمسية من تصوف وفكر شيعي وفلسفة إسماعيلية ونفسير باطني للقرآن الكريم وفلسفة اشراقية الباطنية وكيمياء وتطبب وفلاحة نجومية وسحر وطلسمات وعلم التنجيم...الخ، ويؤسسها نظام معرفي يقوم على "الكشف والوصال"و"التجاذب والتدافع" كمنهاج، وعلى ما يسمى باللامعقول العقلي». (الجابري محمد عابد، 2009، ص251) الذي يطلق عليه "الجابري" صفة العقل المستقيل، كونه اللامعقول الذي يمثلإيديولوجية الآخر الذي تسرب إلى الثقافة العربية.

5 . 3 النظام البرهاني (المعقول العقلي)

يذهب "الجابري" إلى تعريف البرهان بالمعنى الضيق للكلمة على أنه« العمليات الذهنية التي تقرر صدق قضية ما بواسطة الاستنتاج، أي ربطها ربطا ضروريا بقضايا أخرى بديهية أما في المعنى الاصطلاحي فالبرهان هو كل عملية ذهنية تقرر صدق قضية ما».(الجابري محمد عابد، 2009، ص 383) فالنظام "البرهاني" كما عبر عنه "الجابري " يأتي على رأس التقسيم الثلاثي للنظم المعرفية المؤسسة للعقل العربي بمثابة تجلي للعقل العلمي الذي تم نقله إلى الثقافة العربية وتوظيفه، و الذي يرجع أساسا إلى الفلسفة "الأرسطية " التي أسسها الفيلسوف اليوناني " أرسطو" (عدي محمد: 2016 ص 7)

ويعتبره "الجابري" المنهج العلمي والبرهاني الذي «يعتمد–حسب قوله - قوى الإنسان المعرفية الطبيعية من حس وتجربة ومحاكمة عقلية وحدها دون غيرها، في اكتساب معرفة بالكون ككل وكأجزاء، لا بل لتشييد رؤية للعالم يكون فيها من التماسك والانسجام ما يلبي طموح العقل إلى إضفاء الوحدة والنظام على شتات الظواهر ويرضي نزوعه المُلح إلى طلب اليقين ». (الجابري محمد عابد، 2009، ص 383)

وقد تعرض في تحليله لتلك النظم إلى:"الأزمة التي عرفها العقل العربي في حركته التكرارية المغلقة عن طريق صراع الأسس والأنظمة "،موضحا أن بداية الصراع دخلت الثقافة العربية الإسلامية منذ بداية عصر التدوين، لينتهي بانتصار النظام المعرفي العرفاني الذي أدى بدوره بدوره إلى انتصار خطاب اللاعقل ممثلا -حسب الجابري - في التصوف الذي اكتسح الساحة السنية خاصة، فنقل الخطاب اللاعقل ليس فقط إلى مملكة البيان والبرهان، مملكة النقل ومملكة العقل، بل أيضا إلى المملكة العامة مملكة التقليد والتسليم (...)ذلك هو عصر الإنحطاط الذي سجل إستقالة العقل العربي البياني و منه والبرهاني". (عدي محمد، 2016، ص 9)

6.خاتمة:

في خاتمة هذه الدراسة التي تناولنا من خلالها بنية العقل العربي وتشكيله في تصور المفكر المغربي المعاصر صاحب المشروع الفكري الشهير المتعلق (بنقد العقل العربي) المتمثل في شخصية محمد عابد الجابري، يمكن أن نخلص في الأخير إلى جملة من النتائج نجملها فيمايلي:

أن مقصود "الجابري" بالعقل العربي ليس الثقافة العربية، وليس الفكر العربي وما أنتجه من معرفة، وإنما المقصود به الأداة والطريقة التي أنتجت هذه المعرفة فالجابري ينظر إلى العقل العربي على أنه كيان فكري، ونهج في التفكير له خصوصية عربية يتحدد بموجبها الجنسية الثقافية لكل مفكر.

ويشيد "الجابري" بالعقل العربي من جانب ولكنه ينتقده في تكويناته التي شكلته على النحو الذي يبدو به سائدا، وفي جانب آخر يقارنه بالعقل اليوناني والعقل الأوروبي.

ويستبعد " الجابري"فكرة القول بـ(العقل الإسلامي) لأن هناك علماء مسلمين غير عرب لهم نتاج ضخم مكتوب بلغتهم أي داخل ثقافتهم وعقلهم هم، وليس من داخل العقل العربي الذي تشكل اللغة العربية إحدى أهم أساسياته.

ويعتقد " ناقد العقل العربي" أن بنية الثقافة العربية ذات زمان واحد (زمن راكد) يعيشه الإنسان العربي اليوم مثلما عاشه أجداده في القرون الماضية، وبالتالي فإن العقل العربي- حسب رأيه - إنما تشكل ككيان وتثبتت أركانه وتعينت حدوده واتجاهاته خلال عصر التدوين، الذي انتهى بانتصار النظام المعرفي العرفاني الذي أدى بدوره بدوره إلى انتصار خطاب اللاعقل ممثلا في التصوف الذي اكتسح الساحة السنية خاصة فنقل الخطاب اللاعقل ليس فقط إلى مملكة البيان والبرهان، مملكة النقل ومملكة العقل، بل أيضا إلى المملكة العامة مملكة التقليد والتسليم، ذلك هو عصر الإنحطاط الذي سجل إستقالة العقل العربي البياني و منه والبرهاني.

7. المراجع:

1.7 الكتب

1- الجابري محمد عابد: **بنية العقل العربي"دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية"**، ط9، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان) 2009

2- الجابري محمد عابد : **تكوين العقل العربي**،ط10، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت (لبنان)،2009 .

3- الجابري محمد عابد: **التراث والحداثة " دراسات وناقشات**" ط1، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت (لبنان)،1991

4-الجابري محمد عابد: **حفريات في الذاكرة من بعيد**، ط1،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، 1997.

5- الجري عبد النبي: **طه عبد الرحمان والجابري" صراع المشروعين على أرض الحكمة الرشدية**،ط1، المكتبة العربية للأبحاث والنشر، بيروت (لبنان)، 2014.

6- الإدريسي حسين:**"محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي"**، ط1، مكتبة مؤمن قريش، بيروت (لبنان)، 2010

7- الشيخ شبر الفقيه : **الخطاب الفلسفي العربي الاسلامي المعاصر" بين اشكالية المنهج وازدواجية التراث "**، د ط، دار الهدى، 2014.

8- الشيخ محمد: **محمد عابد الجابري " مسارات مفكر عربي** "، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، 2011.

9-جباب محمد نور الدين وآخرون: **الفلسفة العربية المعاصرة " تحولات الخطاب من الجمود التاريخي الى مآزق الثقافة والإيديولوجيا**"، ط1،دار الأمان، الرباط (المغرب)2014.

10-غصيب هشام: **هل هناك عقل عربي؟ " قراءة نقدية لمشروع محمد عابد الجابري**د ط، دار التنوير العلمي للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)(د س).

11- ولد أباه السيد: **أعلام الفكر العربي المعاصر**،الشبكة العربية للأبحاث والنقد، ط1 بيروت (لبنان) 2010.

2 . 7 المجلات والدوريات

1- بن سماعين موسى:**النقد ونقد النقد في الفكر العربي المعاصر،مجلة الإحياء**،العدد 15،جامعة باتنة (الجزائر)، 2012.

2-حمداوي جميل: **إشكالية التراث والمنهج عند محمد عابد الجابري**،مجلة المنهاجالعدد 67، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع،خريف 2012.

3- عدي محمد : **اشكالية العقل في الفكر الفلسفي المغربي المعاصر " محمد عابد الجابري – طه عبد الرحمان** "، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2016

7 . 3 المو اقع الإكترونية

1- السيد أحمد: **نقد العقل العربي قضية للنقاش**، www.rabitat-alwaha.net 2018/03/18

2- عيد عبد الرزاق:**نقد نقد العقل العربي(قضية للنقاش)**-http://www.rabitat alwaha.net 2018/02/12

3- القاضي محمد: **"محمد عابد الجابري(سيرة حياة)"**، ملتقى ابن خلدون-www.ebn khaldoun.com 2018/02/11